الباب الثالث عشر
أوجاع فى القلب

obeikandl.com

obeikandl.com

المقال الأول
كم يضيق الصدر

هى جوانبى التى تضيق فى لحظات كثيرة، هى أضلع الصدر التى أوجعتنى، وقد أوجعتنى مرتين: المرة الأولى لم أدرك ما كان من ألم بها، إلى أن أدركت فيما بعد أنها أوجاع فى القلب، وضيق الصدر له أنواع طبية وأنواع نفسية، أما الأنواع الطبية فيه آلام الصدر المصاحبة للأزمات القلبية، وهنا أنا بصدد آلام الصدر المصاحبة لحمل الهموم، هموم الدنيا، إلى هموم يحملك الغير نتيجة تصرفات البشر، الذين لا يراعون أحاسيس الغير، إن مضايقة الآخرين لك سواء عن قصد أو غير قصد، أو من يسيء إليك، ويحملك ما لست أنت به، إن أذى البشر كثير، يكاد يطبق على صدرك، بل يجعل صدرك منقبضا، فماذا يكسب هؤلاء؟ إن من يحاول أن يعرقل الرسالة الكريمة فى عمل الخير لا فى عمل الشر فهناك كثير من أعداء النجاح، محبى سقوط الفضائل، ومحبى الرذائل، إنها النفوس المريضة التى نسيت أن الله موجود، وهو العدل، إن ظلم البشر لهو فقر العقيدة، عنوان على جباه الماكرين، الحاقدين أعداء البشر المتربصين، وإن كل إنسان متربص سوف ينتهى أجله، فليتق كل منا ربه فى معاملة الآخرين، فلم يعد إلا سويعات بحساب البشر، بل أقل إلى يوم اللقاء، وإنه لتذكرنى كلماتى بقول الله سبحانه وتعالى فى محكم آيات من سورة الحجر **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}. (٩٩)**، لقد وصف الله تبارك وتعالى علاج ضيق الصدر لرسوله الأكرم، صلى الله عليه وسلم، فى كتابه الكريم كما فى الآيات السابقة، فالعلاج الأول» فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ «، سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر، وفى الصحيحين عن أبى هريرة –رضى الله عنه – قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان

علـى اللسـان ثقيلتـان فـى الميـزان : سـبحان الله وبحمـده سـبحان الله العظيـم». رواه البخـارى، والتسـبيح ليـس باللسـان فقـط بـل ذكـر القلـب واللسـان، فاشـغل اللسـان بالحـق حتـى لا يشـغلك بالباطـل، والعـلاج الثانـى المصاحـب للتسـبيح هـو الصـلاة **{ وكن من الساجدين }**. واقـرب مـا يكـون العبـد مـن ربـه وهـو فـى لحظـة ذلـه بالسـجود، فالقـرب مـن الله سـبحانه يكـون بالسـجود **{كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}**. سـوره العلـق، أمـا الوصفـة الثالثـة فهـى الاسـتمرار فـى العبـادة دون كلل أو يـأس، حتـى يأتيـك اليقـين، واليقـين هنـا المـوت، وتذكـر قـول الله تعـالى: **{ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيل }.. سورة الأحزاب.**

والتـوكل هنـا هـو الاعتمـاد وتفويـض التدبـر إلى الله، فـإن الله هـو الوكيـل الكافـى فـى الوكالـة، أى المجـزى مـن تـوكل عليـه مـا وكلـه عليـه :

أوسع ما بصدرك وقل لى لم هى بداخلى تضيق ؟
تطابقت الأضلع جوانبى كيف لى هما يطيق؟
سبحان من خلق الأضلع بذكره من جوانب تفيق
فسبح ربك واسجد برأسك ترى صدرا بقاء ما يضيق؟
و تأمل بذكر ربك باليقين تجد صدرك هما يطيق
يا نفس فرج الصدر بكاء ودار المرء فينا تستفيق
كم كسبنا من مال جمعنا وكم أضعنا بحرا كم غريق؟
أين ذوو سلطان بقى على أرض رحبت فلم الضيق؟
كم من المدائن نرى كم صارت خرابا وكم منه يستفيق؟

المقال الثانى
اللياقة فى الحرف والسلوك

إن من أصعب ما يكون هو استقبال اللا لياقة و اللا أدب حوارا: حرفا، صوتا، سخرية، برودا، تجاهلا، أو تصرفا، ينم على أشياء قد تكون حقيقية وقد لا تكون كذلك، فينشغل العقل، ويتحفز للرد، ويجد الشيطان منها وسيلة سريعة لنمو مستعمرة بكتيرية من الكراهية حتى ينزع الحياء من وجوه الكثير، الكلمة طلقة لا ترد فى وجه الآخرين، فإن أصابت صابت، وإن طاشت عابت، والفعل خنجر يقصم الظهورك

وعجبا من لفظه أنت داركه

لا تعلم من يصيب وأنت بالسهم صائبه

قل للسان امسك ما بالصدر معاتبه

إن الكريم فى اللفظ تبدوا محاسنه

وان البذيء فى القول تكثر معايبه

نسينا الأمس واليوم منا نباعده

إن الجميل نكران عشرة نحن بايعه

لا تحسبن الذوق الجميل يخلو متاعبه

وسفيه القول لا يدرى مكانا كان مولده

سلوكُ الإنسان فى حياته مع غيره سلوكًا مُتَّسِمًا بالأدب، والسلوك والآداب من شؤون الحياة والأحياء، شربا واكلا وقولا وفعلا واستئذانا ومحادثات ولباسا ومعاملات وضبطا للمواقيت، وما أجمل أن نقرأ فى سيرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، بعث ليتمم صالح الأخلاق ومكارمها، إن ديننا الحنيف يعلمنا

فـى آياتـه كيفيـة بنـاء حسـن الخلـق وسـداد السـلوك وذوق فـى التعامـل الرفيـع، إن أدب النفـس ورفعـة الـذوق وجمـال التعامـل، ومراعـاة المشـاعر وحسـن المعاملـة مقصـد شـرعى مـن مقاصـد الديـن العظيـم، فالـذوق هـو مسـلك طيـب وتصـرف حميـد يعنـى جمـال الأدب، وعلـو الرقـة وحسـن العشـرة وكمـال التهذيـب، فمـا أصعـب مـا نـراه مـن تصرفـات أو سـلوك سـواء مـن فعـل أو قـول أو إشـارة تجـرح الآخريـن، وعلينـا أن نتفهـم ذلـك، واعلـم قـول الله **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ – غافر(١٩)**– إن الكلمـات مـن وراء القصـد فـى الصـدر ومهمـا أوتـى الإنسـان مـن قـدرة علـى فهـم الآخـر إلا انـه لا يصـل إلى مـا وراء القصـد، فالنفـس الأمـارة تلعـب دورا بـين الطرفين، حتـى تنشـر براثـن العـداوة والكراهيـة، وللأسـف كثير منـا لا يجيد اسـتخدام اللفظ ولا التصـرف إلا مـن رحـم، إنـه الغبـاء الاجتماعـى، فى حظـيرة الحيوانات المفترسـة، ان الشـر يحبـون لـين الجانـب، والقلـوب تقبـل علـى مـن تواضـع لهـا، واللسـان المهذب يعطـف القلـوب ويمهـد لقبـول كل نصـح أو إرشـاد، إن الله سـبحانه وتعالى يـرزق العبد ذوقـا راقيـا وتهذيبـا رقيقـا ليسـتمتع بالحيـاة وقـد يحضرنـى قـول جدتـى (يـا بنـى اللفـظ سـعد)، ويـا ليتهـا دامـت أيـام جدتـى، لـما نسـمعه مـن الآخريـن دون حيـاء أو اسـحياء وتبجـح ووقاحـة تمـلأ الوجـه، ونسـى الكثـير أن الحيـاء شـعبة مـن الإيمـان.

ألم يتعلـم الإنسـان المسـلم مـن كتابـه الله سـبحانه وتعـالى **(قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) [البقرة: ٢٦٣]**. فقد فضـل القـول بالمعـروف عـن الصدقـة بـل إن مفهـومَ الصدقـة فـى ديننـا أوسـع مـن التصـدُّق بالمـال؛ فتبسُّـمُك فـى وجـه أخيـك صدقـة، وإرشـاد الضـالّ صدقـة، وإماطـةُ الأذى عـن الطريـق صدقـة، وبصـرُك للرجـل رديء البصـر صدقـة.

ولنـا فـى شـريعتنا الكثـير أن هنـاك مـن البشـر، إلا مـن رحـم، يعجَـزون أن يربطوا بـين حُسـن التعبُّـد وحُسـن الخُلـق وسُمُـوّ الـذَّوق، فـترى هـذا المُتعبِّـد يحـرِصُ علـى العبـادات فـى أوقاتِهـا وهيئاتِهـا، لكنَّـه قـد يرتكِـبُ أعمـالًا يأباهـا الخُلُـق الكريـم، ومـن لم تُزكِّـه عبادتُـه وتُهذِّبـه ديانتُـه فمـا الـذى حصَّلَـه يـا تُـرَى؟! وخـبرُ المُفلِـس عندنـا –أهـل الإسـلام– معلـوم، وهـو مـن يأتـى يـوم القيامـة بصـلاةٍ وزكاةٍ وصيـام، ويأتـى وقـد شـتَمَ هـذا، وقـذَفَ هـذا، وأكلَ مـالَ هـذا، وسـفَكَ دمَ هـذا، وضـربَ هـذًا. وحينئـذٍ يكـونُ القِصـاصُ؛ فأيـن حسـناتُه؟!

إنهـا قضيـة الخلـق والـذوق واللياقـة، إذا كنـت تـرى فـى أذى الكلمـات عليـك الكثـير فانظـر إلى مـن يفعـل ذلـك، فهـو يكذب كثـيرا، ويخلـف، ويغدر انه مـن بنيان الأنـا، وان مـن الملاحـظ كثـرة الأكاذيـب والأقاويـل، وهـى مـن بـاب عـدم اللياقـة، وأغلـب الكذابـين كالحـى الوجـه، بـادى الشـر، قريـب العـدوان، إن اللياقـة والأدب العـالى يكـون فـى الزيـارات والاسـتئذان مـن جميـع الأعمـار فـى طـرق الأبـواب، بغـير عنـف، وعـدم الوقـوف مقابـل البـاب، فإنما جُعِـل الاسـتِئذان من أجل البصـر، وتخيُّر أوقـات الزيـارة، **(وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ) [النور: ٢٨]**، والجلوسُ حيـث يُجلِسُـه صاحِـبُ البيـت، أو حيـثُ ينتهِـى بـه المجلِـسُ حسـب الأحـوال.

والقـومُ أعلـمُ بعـورات بيوتِهـم، ولا يُقيـمُ أحـدًا مـن مجلسِـه ليجلِـسَ فيـه، وافسَـحوا يفسَـحَ الله لكـم، **(وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا) [المجادلة: ١١]. ولا يتناجَى اثنان إلا بإذن الثالِث؛ فإن ذلك يُحزِنُه، (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) [النور: ٥٩]**، والذيـن لم يبلُغـوا يستئذِنون فـى العـورات الثـلاث: مـن قبـلِ صـلاة الفجـر، وحـين وضـع الثيـاب مـن الظَّهـيرة، ومـن بعـد صـلاة العشـاء.

لقـد قـال أهـلُ الحكمـة: «الفضـلُ بالعقـل والأدب، لا بالأصـل والحسَـب؛ بـل إن مـن قعَـدَ بـه حسَـبُه نهـضَ بـه أدَبُـه». والأدبُ وسـيلةٌ إلى كل فضيلـةٍ، وذريعـةٌ إلى كل شـريعةٍ. يقـول أبـو جعفـر المنصـورُ: «إن أحببـتَ أن يكثُـر عليـك الثنـاءُ الجميـلُ بغـير نائِـلٍ فالقَهـم ببُشـرٍ حسـنٍ».

والـذَّوقُ الرفيـعُ ليـس ضعفًـا؛ فالرجـلُ الكريـمُ يُفضِّـلُ أن يُريـقَ دمَـه علـى أن يُريـقَ مـاءَ وجهـه، والعاقـلُ فـى حضـرة الرِّجـال يُحكِـمُ سـلوكَه، ويضبِـطُ تصرُّفَـه، يتكلَّـمُ بقـدر، ويتصـرَّفُ بـذوقٍ، وإن تمعُّـر الوجـه واهتِـزاز المشـاعِر فـى بعـض المواقِـف دليـلُ سمُـوٍّ كامـنٍ وطبـع كريـم. ولنتذكـر قـول الله تعـالى (وَلَا تُصَعِّرْ خَـدَّكَ لِلنَّـاسِ وَلَا تَمْشِ فِـى الْأَرْضِ مَرَحًـا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِـبُّ كُلَّ مُخْتَـالٍ فَخُـورٍ وَاقْصِـدْ فِـى مَشْـيِكَ وَاغْضُـضْ مِـنْ صَوْتِـكَ إِنَّ أَنْكَـرَ الْأَصْـوَاتِ لَصَـوْتُ الْحَمِـيرِ) [لقمـان: ١٨، ١٩].

نسـتغفر الله العظيـم، ونسـأله أن يمكنـا مـن حفـظ اللسـان، ونسـتغفره مـن كل ذنـب وخطيئـة، انـه الغفـور الرحيـم نختـم قولنـا بآيـة **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) سورة القلم**، إنهـا الأخـلاق واللياقـة، فهـل سـتندثر مقابـل الأنـا؟

المقال الثالث
كم يضيق الصدر فينا

هى جوانبى التى تضيق فى لحظات كثيرة، هى أضلع الصدر التى أوجعتنى، وقد أوجعتنى مرتين، المرة الأولى لم أدرك ما كان من ألم بها، إلى أن أدركت فيما بعد أنها أوجاع فى القلب، وضيق الصدر له أنواع طبية وأنواع نفسية، أما الأنواع الطبية فيه آلام الصدر المصاحبة للأزمات القلبية، وهنا أنا بصدد آلام الصدر المصاحبة لحمل الهموم، هموم الدنيا، إلى هموم يحملك الغير نتيجة تصرفات البشر، الذين لا يراعون أحاسيس الغير، إن مضايقة الآخرين إليك سواء عن قصد أو غير قصد، أو من يسيء إليك، ويحملك ما لست أنت به، إن أذى البشر كثير، يكاد يطبق على صدرك، بل يجعل صدرك منقبضا، فماذا يكسب هؤلاء، إن من يحاول أن يعرقل الرسالة الكريمة فى عمل الخير لا فى عمل الشر فهناك كثير من أعداء النجاح، محبى سقوط الفضائل، ومحبى الرذائل، إنها النفوس المريضة التى نسيت أن الله موجود، وهو العدل، إن ظلم البشر لهو فقر العقيدة عنوان على جباه الماكرين، الحاقدين أعداء البشر المتربصين، وان كل إنسان متربص سوف ينتهى أجله، فليتق كل منا ربه فى معاملة الآخرين، فلم يعد الا سويعات بحساب البشر بل أقل إلى يوم اللقاء، وانه لتذكرنى كلماتى بقول الله سبحانه وتعالى فى محكم آيات من سورة الحجر **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)**، لقد وصف الله تبارك وتعالى علاج ضيق الصدر لرسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم فى كتابه الكريم كما فى الآيات السابقة، فالعلاج الأول «**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**»، **سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر** وفى الصحيحين عن أبى هريرة –رضى الله عنه – قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم : «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على**

اللسان ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» البخارى، والتسبيح ليس باللسان فقط بل ذكر القلب واللسان، فاشغل اللسان بالحق حتى لا يشغلك بالباطل، والعلاج الثانى المصاحب للتسبيح هو الصلاة (**وكن من الساجدين**)، واقرب ما يكون العبد من ربه وهو فى لحظة ذله بالسجود، فالقرب من الله سبحانه يكون بالسجود(**كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**) (١٩) «سورة العلق، أما الوصفة الثالثة هو الاستمرار فى العبادة دون كلل أو يأس، حتى يأتيك اليقين، واليقين هنا الموت، وتذكر قول الله تعالى (**ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**). (ص: ٥٨) والتوكل هنا هو الاعتماد وتفويض التدبر إلى الله، فإن الله هو الوكيل الكافى فى الوكالة، أى المجزى من توكل عليه ما وكله عليه.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اجعل عملنا كله خالصا لوجهك الكريم اللهم لا تجعلنا ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين آمين.

obeikandl.com

المقال الرابع
سيمفونية النفاق

دعينى أناديك اعزف على أوتار لسانك سيمفونية، شُبهة الخداع، يا أرضا كم رأت عيناى الكثير، ضاع أمامى الرمز، وضاعت معه القمم، إنها أرض النفاق، انتشر الفساد كجراثيم عنقودية يطال بها من يلمس جسدها النحيل وعقلها الماكر المتفجر كالأنثى حين ترغب فى اللقاء، أما قل فيك الحياء، نزع من عيون البشر، إنه خداع النفاق يترك خلفه جرحا يصعب التئامه، يحتاج إلى صبر أيوب «**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**» (الأنبياء :٨٣) ، نحن فى عصر ابتلاء أيوب، إن سيمفونية عطن النفاق المستشرى بين القمم، الذين وضعوا فى نهرنا العذب، حبوب الغش والنفاق والخداع فقد تلوث النهر وشرب منه من شرب، انه السم القابع فى مخلوط الطمى فى قاع النهر الخالد، لوثوه، بعثروا روافده فى سيمفونية القدوة الشاذين أخلاقيا المنحرفين فى أبواب تحالف الشياطين، لقد توضأ الفسدة بماء غير طهور انه ماء الرشوة والمحسوبية، وصبر أيوب يعانى منه الكثير: «**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**»٤١ «**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**» (٤٢) سورة ص.

متى نضرب بأرجلنا فى مغتسل الطهارة، إن الانحراف المتعاظم طال كل مناحى الحياة، مناحى الخلق، وخيانة الأمانة، والانحراف يتعاظم، وطن وارض تتضخم وتتخم بطون الكلاب المسعورة تلتهم أقوات المعدومين، إنها حالة الجبن فى خواء إنسان عج فى أركانه سوس الفساد، فهل نحتاج إلى منطقة عزل طبى للانحراف، هل نعلن أن أرضنا صارت أرضا موبوءة بالنفاق، فالنفاق شر الأمر وبليته، إن آيات النفاق فى قائمة الأمراض، فى كتاب طب النفوس، فهل لنا من طبيب يشخص لنا النفاق الذى معه تنحرف القيم، إنها مداخل

الشيطان فى النفس، لقد قمت بتخيل وصفى لأعراض النفاق حين أخذت عينة من ماء النهر المذاب بداخلة الأمراض الاجتماعية التى وصلت بنا إلى هذا الحال، فلننظر إلى جسد البشر المكون من القلب، حين ينحرف فيمرض، ﴿فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة آية٩، هذا الجزء الأول من الجسد، الجزء الثانى فى الهيكل البشرى هو الطمع الشهوانى المتمثل فى لين القول ومرض القلوب واتباع الشهوات **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) الأحزاب**، إن ما وصلنا إليه وما فعله بنا الشيطان أوصل نهرنا إلى الفساد فتجرعنا الكثير وصارت الفتنة الكبرى لهذا العصر. إنها فتنة المنحرفين المفسدين المرتشين،

لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) الحج، ان التستر على ما يحدث للإضرار بهيكل الأمة لهو أمر عظيم يحتاج مجاهدة كبرى «**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**» (١٠٧) التوبة، إن ادعاء الإصلاح من بوق الكذب من الثلة المنحرفة التى تهدم فى جدار النهر ليشيع الفساد بيننا فى جسد الأرض الطيبة لهو أمر جلل **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) البقرة**

إننا فى شط السفه، فى شط العجائب فى قارب ملوث من نهر لوث بيد العابثين **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) البقرة**

إن سيمفونية النفاق هى من النفاق هى منظومة الفساد والإفساد بين البشر «**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**» (التوبة: ٤٧).

إنه الزيف الأخلاقى فى كتاب النفاق المدرج تحت عنوان الانحراف العظيم، لك الله يا ارضى، لك الله يا نهرى، لك الله يا ولدى سأودع الدنيا آسفا على

ما رأيته من الأكاذيب والنفاق، وان هؤلاء الشرذمة مصاصى دماء البشر منعدمى الخلق والخلق أما ينطبق عليهم قول الله **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أو يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) (المائدة)**

إن الغفلة إذا أتت من العلماء، و بدا الظلم فى أولى الأمر، وشيع النفاق فى الفقراء صار الفساد عنوانا، إن ما يحزننى فيما أراه هو السرقة عينها، يا بنى إنهم سرقوا عمرى وعرقى، و حريتى، وكيانى فلا تسمح أن يسرقوك وعدلك يا رب، عدلك يا رب، عدلك يارب.

obeikandl.com

المقال الخامس
العبوس فى العين ضيق وحسد بالقلوب

هل سالت نفسك يوما، ما تأثير العين حين ترى أشياء، تحرك بداخلك الاضطراب، وتفسد يومك، هل رأيت طلقات العبوس من الآخرين فى محياهم العابس، الكالح الكئيب، وكأنه يحمل على ظهره قنطارا من اِسْوِدَاد (العبوس)، يرغب فى توزيعه، فإن العابسين مرضى فى القلوب، والعبوس مرض نفسى، يصاب به كل حاقد وحاسد وغاضب من نفسه، وان أى مُقَطِّب فى وجه أخيه، يبعث فى قلب الآخرين ضيقا، فلماذا نزرع الكراهة فى وجه الآخرين.

ان من العبوس مترادفات كثيرة فى حياتنا منها كَالح، مُغِمّ، تَجَهُّم، ، تَكَشُّر، شَتيم، وهناك الكثير من المترادفات تجتمع تحت مَسمى واحد ألا وهو العبوس، والعَبَس هو جمع جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهَّمَ أى عبس وهذا هو العبوس وصفا. والعبوس من علامات الغضب والضيق، فلماذا نصدر غضبا وضيقا فى وجوه الآخرين إنها صورة منفرة.

وفى المقابل نرى عكس العبوس، الشخص الطلق، الباش، البشوش، طلق المحيا، المبتسم، المتهلل، المنفرج، إنها رياحين الورد حين تطلقها فى عيون الآخرين.

إن الفرق بين البشاشة والعبوس كالفرق بين النقاوة والاتساخ، فالبشاشة كمن يوزع الورود برائحتها الطيبة، وأما العبوس فهو الاتساخ حين يطلق العابس رذاذا على الآخرين فيعبِس الثوب، يلحق به الأذى.إن القلوب تجمعها ابتسامه وتبعدها وتفرقها عبس وجه، ولسان مستحر، فاتق العبوس ولسان مبرد استحر على الآخرين.

إن القلوب المغلقة لا يفتحها إلا ابتسامة جميلة، إنها كسحر الذهب اللامع فى العيون، إن الابتسامة هى دواء الحزن فى قلوب الآخرين، والعبوس عكس ذلك، فهل سألت نفسك يوما، لماذا العبوس وهو أذى فى قلوب الآخرين، لماذا

لا تكون بش الوجه، تأخذ الألباب معك، إن البشاشة كنز القوانين الطبيعية، فالبشاشة اقوى قوانين الجاذبية للقلوب والأرواح وعكس ذلك العبوس، ألا سألت نفسك لماذا نحجب جمال الابتسامة عن الآخرين، إن من يعبس ويتهجم فهو مسيء للآخرين، يصدر له النكد، يعكر صفو الآخرين انه شخص مؤذى للآخرين، انه مصدر الأذى، مصيب الآخرين بمرض الكآبة، انه شخصية مريضة، تبث فى تعاملها الجانب السلبى على الآخرين.

إن لياقة التعامل واجبة بين الناس، وإننى وما زلت أرى أن كل ما هو مخالف للفطرة ومناقض للحسنى ما هو إلا ضعف عقيدة، وان ضعف العقيدة هو ضعف الإيمان ولو كان الشخص العابس يؤمن بأنه سوف يلتقى بمن عبس فى وجه فى الآخرة فى محكمة الآخرة ويسأل لما فعل هذا ولذلك، فضعف العقيدة ضعف إيمان قد يصل إلى الشك فى إيمان العابس. أين رقة القلب، إن القرآن الكريم قد وصف فى آية ١٥٩ فى سورة آل عمران حسن التعامل **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْكُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْلَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِفَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩]**.

إن مفاتيح السعادة للآخرين من أسباب سعادتك فى الدارين، فكن باش الوجه، لينا، هينا، ولا علاقة بذلك مع ما تعتقده من فقد هيبتك المزعومة، فإن القلوب تجمعها ابتسامه وتبعدها وتفرقها عبس وجه، ولسان مستحر، فاتق العبوس ولسان مبرد استحر على الآخرين.

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**».

إن من الأمراض الحالية والتى نعانى منها الوجه العابس المريض نفسيا، والمبتسم ذو الابتسامة الصفراء المصطنعة، التى تخفى وراءها الكيد والمكر، إن الشياطين تعبث بالوجوه، فتجنب عبث الشيطان فى قلبك ووجهك من ابتسامة صفراء بداخلها المكر، أو عبوس وجه يلون وجهك بلون أسود أكثر مما هو فيه

نَقِ القَلْبَ مِنْ اسْوِّدَادِ تَصْنَعُ
تَغْنَم لَذَةَ عَيْشٍ طِيبَهُ
إن السَوَّادِ فى القَلْبِ رَانَهُ
مِنْ عِبْس وَجْهٍ منك حَصَادُهُ
فَأَضِيْء الوَّجْهَ مِنْ نُور إيمَانَهُ
إنَّ العُبُوسَ يَطْرُد الإيمان غُلْفُهُ

إن إطلاق العبوس فى وجه الآخرين، كمن يطلق الأذى فى طريق الآخرين، فهل تعلم أن الابتسامة صدقة فى وجه أخيك، وهل تعلم أن وجه الإنسان يحتوى على أكثر من ثمانون عضلة، وان كل هذه العضلات تتحرك جميعها عند الغضب، والغضب ناتج من عبوس الآخرين فى وجهك أو من تصرفات وبذاءة الآخرين من طول لسان أو تصرف أحمق، إن مثل هؤلاء خدام الشيطان، يعبث فيهم كيفما شاء، إن على رؤوسهم الشيطان، يلبسهم العبوس من جلد الكراهية.

ولمعرفة قيمة العبوس وأهمية وتأثيره علينا أن نقرأ ما قيل فى تفسير قوله تعالى : «**عبس وتولى**» قيل نزلت الآيات فى عبدالله بن أم مكتوم، وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبيا وأمية ابنى خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم، فقال : يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدرى أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله لقطعه كلامه، وقال فى نفسه : يقول هؤلاء الصناديد : إنما أتباعه العميان والعبيد، فأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال : «**مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى**» ويقول : «**هل لك من حاجة**»، واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين، وقيل: إن ما فعله الأعمى كان نوعا من سوء الأدب، فحسن تأديبه بالإعراض عنه إلا أنه كان يجوز أن يتوهم أنه إنما أعرض عنه لفقرة، وأقبل عليهم لرياستهم تعظيما لهم، فعاتبه الله سبحانه على ذلك، وروى عن

الصادق عليه السلام أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى عبد الله بن ام مكتوم قال : مرحبا مرحبا، لا والله لا يعاتبنى الله فيك أبدا، وكان يصنع فيه من اللطف حتى كان يكف عن النبى صلى الله عليه وآله مما يفعل به»

إن للعبوس والإهمال فى التعامل تبعات مدمرة على المجتمع والعلاقات الاجتماعية، وهى تعمل على تنافر القلوب، والعبوس مضعف المودة، وان المستفيد من قصة عبد الله بن مكتوم، وبالذات من يتولى مكانا يتعامل فيه مع جمهور أو موظفين تحت قيادته فإنه عليه ان يتعامل معهم بكل حسنى ولين ويتذكر الآية : (عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى(٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)) (عبس: ١-٤). لقد ذكر القرآن الكريم الصفات القبيحة، فى نصائح لقمان لابنه: **(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)**. (لقمان: ١٨-١٩).

إن العبوس هو أذى كبير، أذى نفسى كبير، ومنفر للقلوب فلا تكن ترسا من آلة العبوس، واعلم انك سوف تغادر الدنيا عبوسا إلى آخره ليس للعبوس فيها مكان، فاتق الله فى تعاملك مع الآخرين **(فَبِما رَحْمَة مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْكُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْلَهُم) .(آل عمران:١٥٩)**. اللهمَّ لا تحرم سعة رحمتك، وسبوغ نعمتك، وشمول عافيتك، وجزيل عطائك، ولا تمنع عنى مواهبك لسوء ما عندى، ولا تُجازنى بقبيح عملى، ولا تصرف وجهك الكريم عنى برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهمَّ لا تحرمنى وأنا أدعوك... ولا تخيبنى وأنا أرجوك. اللهمَّ إنى أسألك يا فارج الهم، ويا كاشف الغم، يا مجيب دعوة المضطرين، يا رحمن الدنيا، يا رحيم الآخرة، أرحمنى برحمتك. اللهمَّ لكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ توكلتُ، وبكَ خاصمتُ وإليكَ حاكمتُ، فاغفر لى ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وأنتَ المقدم وأنتَ المؤخر. لا إله إلا أنت الأول والأخر والظاهر والباطن، عليكَ توكلتُ، وأنتَ رب العرش العظيم.

المقال السادس
نَقْصُ التأمل مُنْكِرُ الصدق فى كفتى ميزان

جلست أتأمل، وسألت نفسى، ما معنى التأمل؟ وما الهدف منه؟ وما نتيجته؟ التأمل باب الحقيقة المخفية التى قد لا ندركها من تصرفات قد تكون على غير الحقيقة، قال تعالى **(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) غافر– ١٩**

وإن التأمل فى الأشياء هو مجرد استغراق ذهنى يستسلم الإنسان لما يمر فى خاطره من معان أو أفكار أو أحداث، وهو أمر يحتاج إلى التركيز الذهنى وان صح فإن الاستغراق المتتابع للحدث يولد بداخلنا صورة كبرى أو صغرى حسب اتساع المستغرق فى تكوين الصورة حسب الغرض، فهناك تأملات فلسفية وهى حالات ذهنية واعية يكون فيها الفكر مستسلما لذكريات وصور مبهمة، وإن التأمل الذاتى أو الباطنى هو الملاحظة الداخلية للحالات الشعورية أو الانفعالية التى يحس الفرد بها، وإن تكرار الظواهر أمام العين قد يكون صورة ذهنية ما، وان أسوء الصور الذهنية هى لمن لا يجيد التعبير عن تصرفاته أمام الآخرين، الذى يولد تناقضا فى التأمل، فيكون الحكم مشوشا، قد يؤدى إلى الاضطراب السلوكى، والتشويه السلوكى وهو من الكذب المتكرر، وان الصدق هو لوحة متكاملة الألوان والنقاوة. و إن تأمل الشيء فى الحقيقة ما هو إلا تدبر فى الأمر مرة بعد مرة فى تكرارات قد تكون لا نهائية، لكى نستيقن ما يجرى، فالنظر إلى ما هو حولنا بغرض الاتعاظ أو الفهم أو الإدراك ما هو الا استعمال لكل من الفكر مع العقل، وفى كثير من الأحيان فالقلب يكون بداخله عقل يدرك يستشعر ويستدرك الأمر، والعقل والفكر مترادفان **(لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا) الحج – ١٧٩.**

لقد أودع الله فينا جهاز الإدراك، ومن الأهمية بمكان أن يتم استخدام العقل الإدراكى لما خُلق له، وليس لما يستخدمه البشر فى تحقيق مصالحهم أو الإيقاع فيما بين بعضهم البعض، أو للتآمر، أو الاستغلال لحاجة فى ظاهرة التآمر

الإدراكى، إن جهاز الإدراك بداخلنا خُلق لكى نتأمل فى الكون وفيما يحيط بنا ليزداد بداخلنا اليقين والإيمان، فالعين ترى والعقل يستيقن والقلب يصدق، وما غير ذلك ما هو إلا كذبا وافتراء، والتدبر فى خلق الله وما حولنا أمر من التدبر الذى يزيد الانضباط داخل آلة الإدراك العقلى، إن استخدام التأمل فى تدبير شر أو حدوث وقيعة كمن يستخدم شيئا فى غير هدفه الأصلى، فاستخدام الإدراك العقلى فى غير محله هو تزوير وتزييف الحقيقة.

إن الإنسان المفكر صاحب جهاز الإدراك الواعى هو أقرب إنسان إلى الحق والصواب لأن عقله يعينه على الحقيقة، إن التأمل الذى يصل بنا إلى الحقائق فى بعض الأحيان، هو جزء أخلاقى من سلوك الإنسان، ولك أن تتخيل ماذا يكون الكون عليه فى ألا يكون هناك خشية الله فى سر أو علن، أو أن تفر كلمة العدل فى الغضب والرضا، أو فى قطع الأواصر بيننا، أو ان يبتعد العفو بيننا، أو أن يتكون الصمت فيتحول ليصبح ثرثرة، فأى عبرة من التأمل حين تخرج عن قواعد الأخلاق الإنسانية لتدفع الأخلاقيات إلى الأمام. إن التأمل بوابة الإيمان. فما أجمل صنيعا من صنع الله فى هذا الكون ونحن نفسده؟

وصدق التأمل، يخرج منه أجمل فطرة فى التحدث كأن تَصْدُق فى الحديث بالمودة، وان المصداقية هى انطباق فى قول المعلن مع الضمير معا، ومتى انحرف شرط فى القول والفعل لم يكن الصدق والمصداقية تامة فهى على حافة الانهيار.

إن الصدق خير لنا من الكذب، فكما يخبرنا الله تعالى: «**طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ**» سورة محمد ٢١، إن الصدق هو باب التقوى فى الفعل والعمل فأين نحن من هذا، أين نحن فى استخدام المدركات الحسية فى التأمل من الآية ١٧٧ من سورة البقرة (**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) إذن فى وصف الصدق (**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) هنا ارتباط الصدق بالتقوى.

إن أخطر ما فى عدم تطابق القول والفعل، والكذب وجه النفاق، وهو تعبير عما ليس فى النفس، وزينة قلب بما لا ترتديه فى حقيقة، وإظهار ما هو مخفى ومبطن على غير الحقيقة، إنها ازدواجية الإدراك الشرير فى وجه النفاق الجاثم على قلوب البشر وماذا منقول غير واحسرتاه على جزاء من يتصف بذلك **(لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) الأحزاب آية ٢٤**

ان الانسجام الداخلى مع النفس لا يتأتى الا بمصالحة ومصارحة النفس مع النفس فإن الصدق فى معاملة البشر هو استقامة نفسك مع وجدانك المتأمل، والصدق ناج لصاحبه يوم القيامة كما جاء فى كتاب الله **(قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) سورة المائدة آية ١١٩**

إن المتأمل فيما حوله، فى جسمه الذى خلقه الله، لوضعنا أيدينا على سر الإيمان، ولننظر كيف نرى المستقيم من حولنا والمنحرف وما نهاية كل منهما، تأمل فى مجالات كسب المال، تأمل فى العلاقات الاجتماعية، تأمل فى مكافأة الصدق مع الله، إن المتأمل فيما حوله يصل إلى أن كل إنسان يأكل مالا حراما سوف يدمره الله عز وجل، فصدق الحقيقة من الشواهد التى تحتاج إلى التأمل. والتأمل فى ميزان الصدق هو كفة الأيمان فى الميزان، فماذا عن الكفة الأخري؟ الكفة المغايرة الأخرى هى الكذب وما يحمله من سوء الحساب والعقاب، ان الكذب يناقض الإيمان، فالصدق إيمان، والكذب يخرج صاحبه من عقيدة الإسلام، والكذب فيه من الكفر، فهناك كفر التكذيب وذلك بالاعتقاد فى كذب الرسل وبما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا والدليل قوله تعالى: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ» العنكبوت:٦٨**

وثانى كفر الكذب هو كفر الإباء والاستكبار، وهو عدم الإذعان بالأمر استكبارا وعنادا وهو يعلم بصدق الأمر والدليل قوله تعالى: «**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**» (البقرة: ٣٤).

أما كفر التكذيب هو التردد وما يعرف بأنه كفر الظن وهو ضد الجزم واليقين والدليل قوله تعالى: **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَواكَ رَجُلًا لَكِنا هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا»**. الكهف: ٣٥-٣٨.

أما كفر الإعراض والكذب المطلق، هو التعريض بالسمعة والدليل قوله تعالى: «**وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَما أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**». الأحقاف: ٣.

نأتى بالأخير من كفر التكذيب وهو النفاق والنفاق كما سبق إيضاحه إظهار غير ما يبطن والدليل قوله تعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ**). (**المنافقون**: ٣).

إن المتأمل لكفتى الصدق والكذب يستطيع أن يتأمل داخل نفسه ليعرف موقعة من النص الإعرابى فى دنيا النحو اللغوى من قاموس الحياة.

وإن الكذب إنكار الصدق على غير الحقيقة قال تعالى: **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ النحل:٨٣**.

إن كفة الميزان تحتاج إلى أن تميل بنا إلى الصدق، وانظر إلى الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ من سورة الأحزاب (**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)**.

نسألك اللَّهُمَّ جَدِّدِ الإيْمَانَ فِى قَلْبِى، اللَّهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، يا مقلب القلوب ثبّت قلبى على دينك، اللَّهم حبِّب إلينا الإيمان وزيّنه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. فصدق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين قال» :إن الإيمان ليخلق فى جوف أحدكم، كما يخلق الثوب»، فاسألوا اللّه أن يجدد الإيمان فى قلوبكم، آمين .

المقال السابع
الوفاء

عنوان يؤلم الكثير، كم هو موجع فى ذاكرة البشر، هذا المعنى النادر، هذا المعنى المفقود، المعنى فى مترادفات الحياة والذى يأخذ أشكالا شتى، منها ما يكون الصدق وفاء، ومنه ما يكون الوفاء عكس الخيانة، ومنه ما يكون النفاق فيه، انه خنجر الظهر حين يغيب الضمير داخلنا، حين يغيب الصدق فى زمن التمنى، إنه التبسم المبكى، والوهم الساخر، حين يعتقد الكثير أن الوفاء بلاهة العظماء، حين يعتقد البعض أن الفهلوة هى معيار البشر، وإن الوفاء يتحول إلى شخصنة المصالح، إنها السخرية التى نعيشها فى عقائد ضالة، لا تخش ربا، ولا تخش ميثاقا وعهدا، إنها حضارة الشخصنة البحتة فى ظل غياب العقيدة الحقة، إن إنكار العهود أو المواثيق لهو أمر يخرج الإنسان من عقيدة الرجوع إلى الله وإننا مهما انتظرنا، فكلنا فى صف الانتظار حين نجر ومعنا كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وصدق الله تعالى فى قوله «**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) الكهف**

إن إرهاصات القلب توجعنى كثيرا، فحين تناولت العنوان، افرز اللسان، بعضا من أبياتى، بينى وبين نفسى، فقلت فيها:

كم أنت توجعنى

حين يدق القلب يسألني

ما بك فى زمن التمني

فقلت الخير فى الوفاء عندي

فضحك متبسما يبكي

وقال واهم أنت ولا تدري

فقلت لم تسخر مني

فقال ما سخريتى غير حظي

فقلت أوجعنى كثيرا قلبي

فقال هل بقى من بشر بجنبي

فقلت هل يبقى البشر بعهدي

فقال قليل يعلم ومن غيرهم قل لى ؟

فقلت يا غدرا من جن وانسي

هذا صديق فى الدنيا وذاك عدوى

وكم منهم تجمع بينهما ضدى؟

فنعوذك ربى من إنس وجنى

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦). (الناس:١-٦).

فى مقالى هذا سوف أتكلم عن الوفاء من مفهوم عقيدتنا السمحة، فالوفاء من الفطرة السليمة والفطرة النقية، كالماء النقى الصافى، والوفاء هو التزام أمام الله وليس أمام بشر، فمن يعامل الله، فى خلق حسن، سيجنى البشر من خلفه الكثير، وهو التزام أمام الله، إن معاملة البشر تتطلب قبل أى شيء أن تتقى الله فيهم، والوفاء ما هو إلا جنين الأمانة، ومسماه الصدق، والأمانة تحتاج الصبر لأن المغريات كثيرة، وفى ظل غياب العين عن العين، يجد الشيطان مسالكه وكذلك مشابهى الشيطان من الإنس ليقوموا بما يقومون به، وإن الوفاء يحتاج إلى المجاهدة، مجاهدة الغياب والاغتراب، إن الوفاء قد يكلفنا الكثير، ولكن ما عند الله باق ولا ينفد، إن الخلق العظيم يتسم به الوفاء، والوفاء والأمانة وجهان لا يختلفا كثيرا وان اختلف لغويا كلا منهما إلا أنهما يجتمعا فى الخلق العظيم، وان من يجاهد من أجل الوفاء غايته، يتسم بالشيء العظيم ففى سورة

obeikandl.com

الأحقاف آية ١٩ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ، فإن جزاء الوفاء عند الله وانظر إلى توزيع الدرجات بين البشر وما ينتظر كل منا** في سورة الأنعام ١٣٢ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**

ولننظر إلى نهاية الآية ١١١ من سورة التوبة **(وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**، ارتباط كلمة أوفى بكلمة بعهدة، فأَوْف هو مصدر آفَ.

فأَوْفَى بالوَعد والعَهد أى كَانَ عِنْدَ وَعْدِهِ، وَفَّى بِهِ، إن الوفاء ثبات عهد وثبات عقد، ومن أوفى بعهده من الله ؟؟

لقد جاء فى سورة النجم آية ٣٧ **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ** ومعنى ذلك إن سيدنا إبراهيم بلغ رسالات ربه، بمعنى بلَّغ ما أُرسل به مما حمله من أمانة فهو وفِى بها، وجاء أيضا فى سورة مريم آية ٥٤ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا**، ومن يلاحظ المشهد فى هذه الآية يجد قسوة الصدق وتحمل تبعاته انه يحتاج الصبر والمجاهدة فكلنا يعلم قصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل، ولكن رغم صعوبة الموقف إلا أن سيدنا إسماعيل امتثل طائعا صابرا لأمر ربه : «**يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين**». الصافات ١٠٢، أى وفاء هذا وأى صدق هذا على العهد وأى طاعة، فالوفاء صدق وطاعة وامتثال، الوفاء صدق فى الوعد وطاعة لأمر وامتثال لقبول القضاء يا لها من رضى النفس والصدق بين البشر، إن الوفاء والصدق ابتلاء ومجاهدة، ومفتاح الوفاء والتوفيق والصبر والاحتمال مرتبط بعون الله ومشيئته، فاطلب العون من الله. فإن للوفاء حرارة تقل وتضعف بالغياب الطويل والموت

ومن أعظم الأدلة على وفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجته خديجة – **رضى الله عنها** – ما رُوِى فى الصحيح أن عائشة – **رضى الله عنها** – أخذتها الغيرة من كثرة ذكره لخديجة – **رضى الله عنها** – وثنائه عليها فقالت له يومًا يا رسول الله: تقول خديجة.. خديجة – وهل كانت إلا عجوزًا أبدلك الله خيرًا منها؛ فتألم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر ذلك على وجهه وقال: «ما أبدلنى الله خيًرا منها»، ثم جعل يعدد ما امتازت به زوجه خديجة على غيرها من

المآثر والفضائل فقال: «لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس فتألم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر ذلك على وجهه وقال: «**ما أبدلنى الله خيرًا منها**»، ثم جعل يعدد ما امتازت به زوجه خديجة على غيرها من المآثر والفضائل فقال: «لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها الولد؛ فلا والله ما أبدلنى الله خيرًا منها» فأخذت بذلك عائشة – **رضى الله عنها** – درسًا ألا تذكرها بعد ذلك أبدًا بدافع الغيرة.

إن الوفاء هو عهد وميثاق **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا سورة النحل ٩١** ويقول تعالى **وَأَوْفُوْا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُوْلاً الإسراء ٣٤** إن الوفاء عهد وعقد ملزم يقطعه الإنسان على نفسه أمام الله «**وَالْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوْا وَالصَّابِرِيْنَ فِى الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِيْنَ الْبَأْسِ أوْلئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَأوْلٰئِكَ هم الْمُتَّقُوْنَ**» البقرة ١٧٧

إن الوفاء عهد مع الله، وعهد مع النفس، وعهد مع الناس، إن يغفل الوفاء مع الله ومع نفسه لن يكون مع البشر وفيا، والوفاء له ملامح كثيرة فى العقود والمواثيق وان لم تكن مكتوبة، والنية فى القصد من الوفاء بالعهد، فى قول رسول الله المسلمون عند شروطهم

وإن الدين الحنيف يحذرنا من نفض العهد **وَلا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ النحل ٩١**

إن الوفاء مرتبط بعقيدة الإيمان، وان حساب المنفعة يضرب الوفاء فى قلب البشر، فإن نقض العهد على حساب مصلحة فى الدنيا أو مبرر مادى، فإن العهد والوفاء اقوى من ذلك **وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ النحل ٩٥**

إن الوفاء يجحده كل منافق حين يتحدث وحين يعد وحين يؤتمن وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالك «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا أوعد أخلف وإذا أؤتمن خان»، نضيف أيضا «وإذا خاصم فجر». صدقت يا رسول الله حين قلت : «تركتم فيكم ما إن تمسكت به لن تضلوا بعدى أبدا، كتاب الله وستني». فمن يبدأ؟

المقال الثامن
إرهاصات عقل

حين تخلو داخل العقل فى لحظة صمت، حين تجد حجرة العقل جمرة ملتهبة، ينثر بداخلها رمادا من الرفات، فى كأس ملئى من العطش، وأصابه سهم القسوة، فانسكب فى غياهب العقل فاشتعل، ان الصرخات حين تعتلى من الصدر، فان الدموع تتناثر على الخدود تبترها، تحولها إلى أخاديد فى وادى الدموع، ويمر فى القلب الحزن الثقيل، أحادث نفسى أليس هناك من ابتسامة، أليس هناك من طيب حرف يهدئ من القلب روعته، أيهما نحتاج، غذاء المادة أم غذاء المشاعر، كم نبحث عن طعام يملأ البطون، عن لباس نتر به أنفسنا، وعن حلى نتزين به، أو قلادة حول العنق، فهل تطفئ كل الزينة نقص فى الأحاسيس، فالماديات لا تطفئ الجوع ولا رغيف الخبز يسد الرمق، إن الأحاسيس تفوق ملأ البطون، وتغذى العقل بالسعادة، والسعادة كلمة تخرج من الأفواه تحرك بداخلنا هرمونات الرضى والطمأنينة، فكفالة الرزق مضمون، **نحن نرزقكم وإياهم» الأنعام (١٥١)، نحن نرزقهم وإياكم « الإسراء (٣١)، (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) الرعد آية ٢٦**، فعلام كل هذا القلق من الغد، وان كنا لا نملك فى جيوبنا أو بيوتنا قوت الغد، إن مفتاح السعادة يصدا حين نشغل حالنا بدنيا إلى زوال.

فحين تعلو الابتسامة فى قلوبنا تكون ابتسامة الرضى فترتاح وتهدأ وراحة القلوب يعاندها هواجس الطمع فى الدنيا ونحسب أن الدنيا هى ما نقتات، إن الإنسان إذا ما اقتات يومه، كفاه الدهر وما فيه، إن السعادة وجدت أينما امتدت ونمت جذور الرضى، حين تشبع النفس بعذب الكلمات والطمأنينة، لا على مال نختزن، ولا افخر الثياب، فكلنا سيذهب عاريا من كل ما عنده فى الدنيا، ويبقى معه كنز الرضى بقضاء الله، فإن الاستسلام لقدر الله مفتاح الفرج فى قلوب المحبين.

إن اهتـزاز الأوراق علـى الأشـجار إذا زاد عـن الحـد تسـاقطت، ونحـن البشـر بداخلنـا رغبـات ورغبـات يوقدهـا الهواجـس المقلقـة والخـوف مـن الغـد، عـن أى غـد نتحـدث، عـن طعـام؟ عـن شـراب؟ عـن ملبـس؟ عـن مـاذا إذن، إن تشـبث الرضـى لا يقـوى ريـاح الدنيـا علـى اقتلاعـه، كلنـا بداخلنـا طفـل الرغبـة، يريـد أن يمـزح ويلعـب ويسـتمتع، هـذا الطفـل الرافـض لعمـرة ووضعـه، هـذا الطفـل الصـارخ، هـذا الطفـل الباكـى، يهـدا بقطعـة مـن الحلـوى، هـذا الطفـل يصـرخ بداخلنـا يرغـب فـى أن نعيـد أيامـه الأولى، حـين تشـتد الأزمـات علينـا، يصـرخ هـذا الطفـل يعبـث فـى أرجـاء أجسـامنا، يرتطـم فـى جـدار العقـل وننسـى الزمـن الحقيقـى داخـل القلـوب

إن احتضـان الطفولـة داخلنـا لا تحتـاج إلى قطعـة مـن الحلـوى، إنمـا ترغـب فـى حضـن يلجـأ إليـه، يطفـئ لوعـة البـكاء، إلى صـدر نرتمـى إليـه حـين يغيـب عنـا الكثـير، كلمـة تمسـح الدمـع علـى أخاديـد الكـبر، فيـا لهـا مـن طفولـة لا تكـبر بداخلنـا، رغـم كل السـنين.

obeikandl.com

المقال التاسع
انتقال الشقاء من الجوع، حين تغاير طبيعتك؟

إن البحر فى مساره الطبيعى، حين نبحر بسفينتنا، وحيث لا يوجد أمواج، أو أعاصير، وحيث لا يوجد اضطرابات، نصل إلى بر الأمان، وهكذا نحن، حين نعش لحظات مضطربة، ينتج عنها ضيقا وانقباضا، وتتحول ردود الأفعال إلى غباوة، فإن الاضطرابات السوداوية تصل بنا إلى حالة من الشقاء، فمن منا يرغب فى شقاء نفسه؟ وشقاء الآخرين

إن مغايرة الفطرة داخل الإنسان، تسبب ردود أفعال منعكسة سلبية، قد تبدوا فى العين، قد تبدوا فى الصوت، قد تبدوا فى الهجوم الانتحارى من شخص على آخر، فيصبح الإنسان منفرا، مزعجا، وتخلى عن صفة النبل، ولن يتغير الإنسان تحت أى ظرف إلا إذا غير من نفسه وتفاهم مع نفسه وتصالح وتقابل مع نفسه بشكر النعم التى يفتقد حسها حين يدخل فى داخل نفسه وتتصارع بداخله جوارحه، فتطفوا على السطح دماء الذنوب واجتراح السيئات، رغم النعم المحيطة به **(ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) الأنفال - (٥٣)**، لقد أنعم الله علينا بالعقل والقدرة وتسهيل السبل، ونحن نصارع أنفسنا بأنفسنا فى عناد من شكر النعم، وإذا بدلنا شكر النعم واتجهنا إلى الشحناء والضغناء ومخالفة الفطرة، تبدلت النعم بالنقم **(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد – ١١**، والنكد والكآبة والاكتئاب التى نصاب بها ما هى إلا من النقم، تموج بداخلنا فتحركنا كيفما شاءت اهواءنا، وطباعنا التى تنسى ذكر الله ومقاليد الأمور كلها بيد الله.

إن أغلب ما يزيد فينا التعاسة، ويحول حياتنا إلى نكد دائم وكدر، أن نقارن أنفسنا من تصرفات مع تصرفات الآخرين فنقع فى دائرة التعاسة، ومما لا شك فيه أن النبت يتأثر بالتربة التى يزرع فيها، وكذلك الإنسان فإن الثقافة المحيطة به تؤثر على تكوينه، ومن هنا نرى أهمية التربية لسلوكياتنا منذ الصغر، ولكن هناك ما هو أغرب من ذلك هو الإرهاب النفسى، أو اصطناع الكدر أو النكد، لكى يخرج الإنسان من حالته تفاديا لمواجهة أى موقف، وهذه الطريقة من السلبيات السلوكية ليست محطة وصول أو صمام الغاز الذى يحكم عواطفنا، وان كان صماما، ما زلنا نحمل اسطوانة الغاز التى يمكن أن تنفجر فى أى لحظة، إن المشاعر المكبوتة تحتاج إلى قواعد السلامة، وان قواعد السلامة تتطلب اتباع النهج الإيمانى والروحى بداخلنا، فإن من يزرع الطيب فى قلبه، غير ما يزرع فى قلبه نكدا، والنّكد وصف من النكَد بفتح الكاف وهو مصدر نَكِدَ الشّيءُ إذا كان غير صالح يَجُرّ على مستعمله شراً، فإن استخدام الأشياء بصورة خاطئة فى السلوك التربوى مثل النبتة فى وطن، وكل منا فى وطن نفسه، وأهله وطن، وذاته وطن، وانظر إلى الآية ٥٨ من سورة الأعراف «**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**»، فإن التربية الخبيثة لا تنتج إلا نبتا غير صالح يجر علينا نوبات الاضطراب النفسى والسلوكى.

إن كل إنسان له من السلوك ما يميزه عن غيره، وهناك سلوك معيبة فى كثير، ولتغيير هذا السلوك فلا بد أن نعرف الأسباب، وإن معرفة الأسباب تؤدى بنا إلى تحديد حجم المشكلة، أو السلوك السلبى، وان الوقوف مع النفس والتأمل فيما داخل أنفسنا يؤدى بنا إلى المصالحة والتراضى مع النفس الهائجة التى لا ترغب فى أن تتعايش مع مفهوم السلامة النفسية، إن النفس بداخلنا نحتاج أن نتقرب لنعرف مفهومها ولنقرأ قول الله تعالى **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)**، لقد أعلمنا الله مفهوم الطاعة ومفهوم المعصية (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**)، إن التناغم الروحى مع التناغم الجسدى فى كيفية استغلال كل منهما يؤدى إلى الانسجام، وغالبا ما يحدث اضطرابات نتيجة انفصال التناغم بين الجزأين

(الروحى والجسدى) وان اكبر مشكله فى التناغم هو الإحساس بالجوع فى كل من الكيان الروحى، والكيان الجسدى، والجوع هو من باب التشبيه، وان صح لفظا فيكون المقصود هو تناقص أو اضمحلال الرغبات فى ظل ارتفاع الشهوات الصارخة فى قاع البشر، وهو أمر مخيف، وان الزينة فى الحياة من مشاهد تجعل النزاع قائما بين الكيان الروحى والجسدى، ومن لم يثبت على فطرته وعقيدته يحدث له الفصام الكامل، والصراعات النفسية والداخلية **(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ)** أية ١٤ آل عمران، والشهوات فى الدنيا كثيرة

إن كثيرا من الأمراض السوداء من الكآبة، أو النكد أو الحزن، إنما يعزى لظاهرة الجوع الجسدى والجوع الروحى وهو أمر قد يبدوا على كثير غير مقبول، ولكن نظام التغذية الروحية تحتاج إلى إشباع النفس بالمعتقدات الدينية والفطرة السليمة، أما الجوع الجسدى المقصود منه إشباع الرغبات مقابل الشهوات، إن سوء استخدام أسلوب الإشباع فى الجانب الجسدى من خارج الإطار الشرعى يولد الكثير من الأمراض النفسية، وان القضايا الاجتماعية من حالات الانفصال أو غيرها فى فقدان أى طرف عن طرف يزداد بداخل كل منهما الجوع الجسدى، (خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) والنفس ترغب فى حنين الأصل، وهذا أحد أسباب التوتر السلوكى لبعض الأشخاص إن لم تكن الأغلبية، وتظهر معها علامات الاكتئاب والنكد، لأن عجلات الحياة الطبيعية عند هذه اللحظة تكبح فى ظل ظروف غير اعتيادية، والجوع الجسدى يصرخ إلى تحرير العجلات من المكابح القابضة التى توقف القدرة على التحرك أو الانطلاق. وانه لتغطية الجوع الجسدى فقد حدد لنا الدين الكثير من المعالجات، ولا غرابة فى أن نولى لأنفسنا اهتمامنا لهذا الجانب، ولا اعتباره من الحيوانية بمكان، إن غياب الأشياء هو مثير الجوع داخلنا، سواء كان الغياب على المستوى المادى أو المستوى الروحى، والعلاج على المستوى الروحى يتمثل فى تعاليم الله وغذاء الروح بالقرآن الكريم وتعاليم هادى الأمة رسول الله، فالخروج من هذه الأزمة تتمثل فى اتباع الفطرة وغض البصر. إن مفردة العزلة والإحساس بها، أى أن تعيش بمفردك أى وحيدا، تختلف فى الإحساس بها عن تطبيقها على أمر الواقع، وإن الوجود الفردى أو الوحدة

تقف وتحرك بداخلك صرخات الجوع وقضية الصراخ للأسف لا تحدد بوقت يمكن تلافيه، إنها الموج والإعصار والرياح وتسوء المسألة إن لم يكن لك خبره فى الطبيعة الجغرافية، سواء جغرافية الإنسان أو مورفولوجى التكوين، وان ثبات العقيدة والصبر على الابتلاء، يحتاج إلى ترويض النفس لا السماح إلى أطراف فستان يهزه رياح الرغبة، وان العين هى ما تثير بداخلنا الكثير إذا ما غضت، فغض الطرف هو خَفَضَهُ اسْتِحْيَاءً، لأنه فى ظل الجوع تبحث العين فى الإنسان عمن يحقق لها الإشباع، ولننظر إلى الآية ٣١ من سورة النور **(وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**.

ونعاود أنفسنا لنسأل كيف نحدث اتزانا فى الجانبين، إن المدخل الصحيح أن نأتى الأفعال طبقا لما فى العقيدة، وان الآية ١٨٩ من سورة البقرة والتى تتحدث عن عادة كانت بالجاهلية فى إتيان الأبواب عند عودتهم بعد الحج من ظهورها فنهى عن ذلك وان يكون الإتيان من الأبواب الصحيحة، وارتباط ذلك بالتقوى، فعموم الآية يوضح لنا أن إتيان الأمر فى ظهره مخالف، فإتيان البيوت من أبوابها إشعار بأن الالتفاف غير مأذون به حتى ولو كان بسم الدين، «**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**».

فلا غضاضة من الزواج، فى ظل ظروف الفرقة أو الوحدة، لأى طرف، وهو الفطرة، لان من يريد أن يجمع حريته فى طريق غير شرعى اعتقادا منه، بسد نبضات الجوع الجسدى، وهو فى مأمن فهو يغفل اللقاء الأخير.

ان الإنسان وما يتحرك بداخله من فطرة وقدرة على تحمل البلاء والابتلاء والسراء والضراء هى من عبودية الله فى كل الأحوال، أما عبادة الله فى السراء فقط، لا تكفى، فكلنا مبتلون والصبر على الابتلاء فى منزلة المجاهدة **(وَمِنَ**

النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ سورة الحج ١١).

كثيرا ما تحركنا المشاعر الملتهبة لتظهر فى داخلنا نكدا كثيرا ينعكس علينا أولا يصل لحالة الاكتئاب سخطا عما يحدث لنا أو من قراءة التاريخ الشخصى بداخلنا من باب ندب الحظ، ولو علم كل منا أن البلاء هو مستخلص للذنوب كمن يخرج النحاس من الذهب ليصبح ذهبا نقيا، والله سبحانه وتعالى رحيم بعباده، يؤخر لهم، ليكافئهم، وان القضية تتمثل فى الصبر على البلاء والابتلاء وإلا تحركنا الأحداث المؤلمة جراحا لا تلتئم، وبشر الصابرين على بلواهم .

إن المشاعر حين تضارب من الخفقان، تتحول إلى أمراض كثيرة، نراها فى الصحة العامة من ازدياد التعرق، والرجفة، وألم بالصدر، والغثيان، وعدم السيطرة على التوازن بالإغماء، والشعور بالتنميل، وكلها من أثر النكد والكآبة والاكتئاب، إن إشغال القلب المحرك بمشاعر سوداوية، لتحركت أجسادنا فتأتى بما تأتى به فلو فرغ القلب من الذكر كالبيت الخرب تسكنه الخفافيش، والأوبئة النفسية، فالصبر على كل الأمراض الروحية من الابتلاء أو النكد أو الحزن وفقدان عزيز لنا، أو الإحساس بالوحدة مالنا غير الذكر طريقا **(اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)** إن ما يخالف الفطرة يعكس بداخلنا إشارات خاطئة كمن يقود سيارته عكس اتجاه السير، وللأسف فإن معالجة بعض الأمور فى حالات كثيرة، طبقا لما يقال عنه بالعرف أو بالطبع السائد، ويكون مخالفا للعقيدة أو الشرع فهو أمر يخالف وتحدث له تبعات من أبواب خلفية، كمن يتحايل على القانون، وهذا التحايل رغم صحته فى بعض الأحيان إلا أن التصرف قد يحرك بداخلنا آثار الاكتئاب أو غيره من النكد الملازم من تصرفات قد لا يرغبها الآخرون بحكم انانية الذات والتحكم المطلق، ومخالفة شرع الله. إن الإنسان حين ينظر بداخلة، يتحقق من شيئين، أولا الرفض القاطع للإحساس بالسجن، أو بأنه مسجون داخل هذا الجسد الراغب فى إشباع كل ما لدية، الشيء الثانى الحرية المطلقة فى العقل والفكر والأحاسيس والهواجس التى تتحكم فى التصرفات كالأعاصير، من هنا نجد أن الصراع داخلنا هو صراع بين الجوعى، وفى لوحة تعبيرية أخرى قد يصل الأمر إلى العيش فى سوق

المتسولين، حين نتسول بعواطفنا، لرغبات قد نعتقد أنها مربحة أو مريحة، بل ربما تكون مدعاة للقلق، وتظهر فينا كثير من السلبيات السلوكية. إن التداخلى بين الجوعى فى سوق الحياة، يجعل فينا منافسة على العيش، والجائع لا يتنازل، وهكذا تكون المتاهة فى سوق الحياة، إن الصراع الداخلى بين جوع الجسد وجوع الروح، يصيب الإنسان بالمزاج السلبى وخصوصا الكآبة والنكد، الذى يصل بنا يكبل عقولنا وتصبح الإرادة واهنة، هذا على المستوى الشخصى، وعلى المستوى الجماعى، فإن متحفزى الجوع داخل الإنسان تتأهب ولو فى غفلة الإنسان ذاته، ان تتذوق طعامها حتى ولو كان رميا، انها منغصات البشر حين تنازعه أعراض الجوع، وليس هناك الكثير ممن يشكر أو يحمد **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ (١٣)** سبأ. ان هموم المشاكل حين نحتفظ بها ونحملها معنا فوق رؤوسنا أو فى أعمالنا، كمن يحمل الفيروس الحاضن، فإن الهموم بالنسبة للأشخاص أصحاب الأمزجة الصفراوية أو السوداوية بمثابة حاضن للميكروب، سرعان ما ينتقل للآخرين، ويصبح كمستنقع موحل يعج بطباع الكراهة المنفرة الكريهة.

إن العقيدة السليمة والفطرة السوية، تجذب لها نحل الوعى الفكرى والروحى، وإذا اختل بستان العقيدة لن ينجذب له نحل القيم والمبادئ فى ظل السلوكيات. ان الاسترسال فى السلوكيات السوداوية والخبيثة هو موت تدريجى وانتحار، يؤثر علينا وعلى الآخرين، وان الولادة الروحية فى بناء العقيدة والحفاظ على مراحل النمو لنا طول الحياة تؤهلنا لرؤية ومعاينة ما ينتظرنا من نعيم وأكاد أجزم، بل أكرر فى كل مقالاتى، أن كل مشاكلنا بالكلية تستند إلى العقيدة وضعفها والإيمان بالله بشكل يقينى، وأن الإنسان أيا كان نوعه، أو فصيله فالكل أمام الله سواء، وان محبة الله والإيمان بالله هى مفتاح للدخول فى العقيدة وقراءة أوراقها وترتيب أثاث العقل من عقيدة راسخة تتحمل التقلبات التى نواجهها، إن الإيمان بالموت والذى يبعث الهلع فى نفوس الكثير منا لهو من حسن فطن العقيدة، فإن الإيمان بالحقيقة المطلقة وهى الموت لن يتأثر كثير من جوعى، فانتظار المكافأة كبير، **(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) البقرة : ١٥٤-١٥٦**

إن من يقترب إلى الصورة الذهنية لما يمر بنا من أحداث واضطرابات سلوكية عليه أن يتأمل أن الحل فى كتاب الله وتعاليمه ولننظر إلى سورة القصص الآية ٥٠ **(فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)**، إن الله لا يوفق لإصابة الحقّ وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أ مر الله وتركوا طاعته، وكذّبوا رسوله، وبدّلوا عهده، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم، فلنتبع ما جاء به الكتاب، وما جاء فيه عن سير السابقين وما كانت معاناتهم، فجاء الكتاب تباينا لنا، ليرشدنا **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) القصص.**

ان ومضة الرحمة تأتيك حين تعصف بك الهموم، وحين تفتقد حضنا دافئا يلم شعث قلبك، فسوف تجد يد الله حانية عليك، ترمم أعماق قلبك المكسور **(إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ). (البقرة:١٤٣).**

فلا تبتئس، وقم واذكر الله وتوضأ، وأتلو آيات الله ولا تنقطع عن ذكره ليخفف عنا فى تدافع القلوب إلى ما تريد، فالصلاة والذكر طريق الهداية إلى حل الكثير، إن ومضات الرحمة كثيرة فلا تبتئس ولا تكن جزءا من الأفكار السوداوية.

المقال العاشر
غياب البشر

بسم الله الرحمن الرحيم، وكالعادة بعد أن من الله على بصلاة الفجر، وكنت أقرأ فى سورة يونس وتوقفت عند الآية ٥٤ **(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)** والتى دوما أتوقف عندها، وقلت فى نفسى كم نحن غائبون، مغيبون، مبعدون، بعيدون، إلا من رحم، ولنبدأ بفهم الكلمات التى تدور حول معنى الغياب أو البعاد فغائب أى غير حاضر، وغائبا عن شيء أى شاردا، ورجل مُغَيَّبٌ أَى أُبْعِدَ وتَمَّ تَغْيِيبُهُ و مُبْعَدٌ عَنْ أى مَنْفِى عَنْ

وسواء كنا غائبون أو مغيبون مبعدون أو بعيدون كلها عندى تجتمع فى مقدمات السبب لحدوث ذلك ألا وهى الغفلة، فالغفلة يحدث بعدها الغياب، أو البعاد، ومن هنا حيت نقرأ فى سورة ص **(اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون. ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون. لاهية قلوبهم..) الآيات ١-٣** .

إن قضية الغياب هو أداة من أدوات استبعاد الزمن تحدث من أو فى غفلة فإن حدث ذلك فكأنك تَظْلِم فى غياب وتُظْلَم من بعاد، ، فالغياب ظلم من الذئاب حين تنهش خلفنا، وكلاب تأكل لحم حضورنا، فالظلم بين حاضر نعش ومن غياب تُرِك

والشخص الغائب أو المبعد هو الشخص الذى تلهيه الحياة لسبب أو لآخر، وفى كل حالة تختلف عن الأخرى، أما الشخص المُغيب أى الشخص المبعد وكل حالات الغياب ما هى إلا الغفلة نحن غافلوها ما ندرى ما يحدث فيها سواء لأنفسنا أو لغيرنا، فهل سألت نفسك أن الغياب قد يكون ظلما لغيرك وأنت

تكون فى نفس الوقت بعيدا تُظْلم، وأيا كانت المظالم فسببها الغياب غياب البشر فى دورهم، غياب البشر فى قناعتهم، غياب البشر فى حساباتهم، غياب البشر فى عدالتهم، فغياب البشر من لهو قلوبهم،

واللاهى عابث يفعل بدميته ما يصيب به نفسه أو غيره انه لاه بنفسه ولنفسه ولغيره، ولا يجتمع اللهو والعدالة معا، وما جنينا من الغياب غير اللهو وما استمتعنا من بعد الغياب فى الحضور وأيا كان الظلم ففى أى درجة نقع نحن أو غيرنا تحت مسمى ظالم فالظالم هو الْجَائِرُ، الطَّاغِى، مَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ بلا حَقٍّ، فانظر إلى الآية **(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)- يونس ٥٤**

إن الإنسان الظالم فى الدنيا هو من يأخذ ثمرة عمل غيره دون أن يعطيه حقه، وهو مغتصب، آكل عرق وكدح غيره، ولو علم الظالم أن ما جمعه فى دنياه، لن يغنى عنه يوم القيامة ولو جمع كل ما فى الأرض، ولكن هيهات أن نملك أرض الآخرة، فلمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار وان الظلم لا يتوقف على الحقوق المادية فقط بل يتعداها إلى الحقوق المعنوية وكل تعدى على الحقوق المادية والمعنوية فهو فى طائلة قانون الظلم فى غياب البشر.

إن قضية غياب البشر من قضية ضعيف عقيدة البشر، وضعيف عقيدة البشر تتمثل فى الإيمان بما جاء به القرآن والرسول والإيمان به، فهل إذا فهمت الآية ٥٤ من يونس هل ستظلم أحدا، وأيضا إذا علمت أن هناك يوم نرجع فيه إلى الله، فكيف يرد الظالم مالا أخذه من حرام يوم القيامة انه الخسران المبين، فالكسب الحرام موجود فى الدنيا لا يقبل فداء له يوم القيامة، إن الظلم المادى فى أكل حقوق البشر بشكل أو بآخر، فليعلم الإنسان أن هناك يوما سَيُمْسَك به وما فعل من ظلم، ولا يملك لنفسه شيئا ليدافع بع عن ظلمه ومن ظلمهم.

إن الله يذكرنا فى آياته **(وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ) (٤٨) البقرة** ثم فى قوله تعالى **(وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ).(البقرة ١٢٣)** فإذا نظرنا إلى الفرق بين الآيتين ففى الأولى نجد أن

النفس الأولى هى التى تقدِّم الشفاعة، والنفس الثانية هى المشفوع لها. والشفاعة هنا لا تُقبل من النفس الأولى الشافعة، وكذلك لا يُقبل العدل. أما فى الآية الثانية لا تُقبل الشفاعة ولا العدل من النفس المشفوع لها، فهى تحاول أن تقدم العدل أولاً، ثم حين لا ينفعها تأتى بالشفيع، وهكذا جاء التقديم والتأخير فى الآيتين مناسباً للموقف فى كل منهما. وعلى ذلك نرى فى الآية ٥٤ من يونس التى استوقفتنى اليوم فى القراءة بعد الفجر **(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الأرض لاَفْتَدَتْ بِهِ)** ففى هذا القول تعذُّرِ ملْك النفس الواحدة لكل ما فى الأرض، ولو ملكته فلن تستطيع الافتداء به؛ فيظهر على الظالم الحسرة التى تأتى إلى نفسه، إن من يرى هول العذاب يصعق ويبهت ويصاب بالدهشة والانبهار فتجمد دماؤه ولا يستطيع حتى أن يدافع أو يصرخ، فيكون ألمه بالحسرة فى نفسه.

إذن الظالمون يُسرُّون الندامة حين يرون العذاب المفزع المفجع، والكلام هنا عن الظالمين، وهم على الرغم من ظلمهم، فالحق سبحانه يقول **(وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بالقسط وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)** وهذه قاعدة تطبيق بين كل العباد، كافرا أو مؤمنا لان الله يقضى بين عباده **(وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ)** والقضاء يتطلب عدم التحيز ويتطلب الفصل بين خصومتين، وفى النهاية فيا ليت كل من يظلم أيا كان نوع الظلم أو أداته أن يرد مظلمة غيرة قبل أن يغادر الدنيا، فى أى لحظة كانت فنحن فى قطار الهجرة إلى الآخرة.

المقال الحادى عشر
مواساة الجراح

إن الكلمات، حين نكتب أو ننطق قد تعبر عنا، فى الصدق، ولا يستشعرها الآخرون إن كانت كاذبة، إنها كلمة الطمأنينة، وكلمة الطمأنينة لا تأتى إلا حين تفوض ربك أمام الآخرين، فالشراكة هى علاقة بين طرف وأكثر، قول الرسول الكريم: (أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر فإذا خانه خرجت من بينهما). إن الشراكة تتعدى حدود المعاملات، شراكة الأحاسيس، شراكة الغيبة، شراكة العمل، شراكة الحياة، وإن أكثر الشراكة إحساسا هو شراكة المغيب عن المغيب حين يغيب، إنها شراكة المبعد فى مسافات سفر، وما أصعبها من شراكة تحتاج إلى مراقبة الله فى كل تصرف، إن مراعاة الشراكة تجعل البركة وموفور العيش وطمأنينة القلب، واعلم أن نزغ الشيطان لن يتركك، لن يدعك تنعم فى بعاد أو شراكة، إن ما يطلقه الشيطان هو بث الشكوكية فى نفوس البشر، ورفض التصديق فى القول، فماذا أنت فاعل حين يحدث لك نفث الشك، ونفث التشكيك من الشريك، لنتذكر قول الله قال تعالى: **(وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّ أن يحضرون)**. **(المؤمنون:٩٧-٩٨)**، وأكاد اجزم انه لن يتركنا فى أى لحظة، انه الشيطان يملأ الرؤوس، ويلعب دورا خطيرا فى حياتنا، ونحن فى حاجة إلى من يواسى مشاعرنا، حتى تلتئم، كيف والشيطان على رؤوس البشر، نحن فى حاجة إلى الصفاء لا إلى حروف صداها عاليا رنانا تحمل بداخلها نقاط المكر، ان من يغير ميزان الكلمات داخلنا الشيطان الأعظم، الذى اقسم ألا يترك أحدا، حتى ولو فى اللحظات الأخيرة، نريد أن ننعم فى حياتنا، بدلا من أصداء الانهيار، إن كثيرا من القضايا، والمعقد منها، نرى أن خروج البركة منها، مرتبط بهمزات الشياطين، فحين يهمس لنا أو يهمز، والهمز عبارة عن الهمزة : صوتٌ شديدٌ، مخرجه

من الحنجرة ولا يوصَف بالجهر أو الهمس وتكون الهمزة من حروف المعانى، فتُستعمل فى النداء، لنداء القريب، ف أَبُنَى؛ وفى الاستفهام، فَيُسأَل بها عن أحد الشيْئين أو الأشياء، إذن فالهمز هو سؤال يطرحه الشيطان للنداء عليك فتحضر عقلك إليه، أو سؤال استفهامى غرضه التشكيك والاستفسار ليحول عنك مسار الحقيقة، والسؤال الأعظم كيف تميز بين همزات الشيطان وبين عقلك الواعي؟ إن العقل الواعى يرفض تكرار المعصية، وهمزات الشياطين تحبب لك المعصية وتكرارها وإنّ إبليس بأعوانه وجنوده الذين لا حصر لهم إلا بعلم عالم عزيز حكيم، يتلبّسُ على بنى آدم بجميع فئاتهم وأماكنهم ومراكزهم وليس هناك أى أحد من خلق الله بعيدٌ عن إغواء هذا العدو اللدود الذى أقسم بعزة الله عزة أنه سيغويهم كما فى قوله تعالى فى **(سورة الأعراف ١٦-١٨ قال فبما أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم * ثمّ لآتينّهُمْ من بينِ أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال فاخرج منها مذموما مدحوراً، لَّمَنْ تبِعَكَ منهُمْ لأملأنّ جهنم منكُمْ أجمعين)** فإبليس رأس كل خطيئة، وكل منا وقرينه من الشيطان معه، حتى نبينا صلى الله عليه وسلم، إلا أنّ الله عز وجل أعان نبيه صلى الله عليه وسلم على شيطانه فأسلم والحمد لله على هذه المنّة، والمعصوم من عصمه الله عز وجل.

وسبحان الله فى الآية **(ثمّ لآتينّهُمْ من بينِ أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)**، أن يأتى الشيطان من كل اتجاه إلا من فوق الرأس ولم يقل: «**من فوقهم**»، لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم.

إن غياب اللقاء فى الحروف التى نبحث عنها فى كلمة، ومواساة الجروح فى حبنا للآخرين، واندثار الصفاء من شظايا القلوب المريضة، وغياب الأجساد المتراحمة من شراكة ربانية، والأيادى الرحيمة حين تحن علينا ولا نجدها، فحين يغيب عنا حجم الألم الذى نسببه للآخر، ويغيب عنا الأحبة بابتسامة غاربة، فى عيون البشر، وتتلون بالكبر، فتصبح كل هذه الأشياء مقصلة لا تقبل الرحمة والتراحم، فما أصعب مواساة الجروح فتسبب خروج رحمة الله فيما بيننا، بمباركة شيطانية نسمح له بالمرور، فمواساة الجرح تتطلب رحمة القلوب بيننا، وإبعاد همزات الشياطين.

المقال الثانى عشر
الكراهية تطرف

كيف ملأنا بها الوعاء؟

إن القياس والحكم على الأمور أصبح شاقا، فلم تعد هناك وحدات قياس مطلقة، وأصبحت الوحدات القياسية نسبية، فتعقدت الأمور وأصبح المطلق نسبيا، والنسبى مطلقا، فاختل ميزان العدل، كم تمر الكلمات من أمامى فأحاول بقدر المستطاع أن أدققها كى أصل لمعناها الحقيقى، ولم تعد المعادلة المعتدلة تأخذ منحى واحدا، بل تعدت وتجاوز حد الاعتدال، فأصبحت المعادلة على أمر الواقع مجرد شد وجذب بين طرفين يحاول كل منهما أن يثبت صحة مقولته أو رأيه، و يغالى طرف على طرف فى وجهة نظره، ويصبح حد الاعتدال متفاوتا ما بين التطرف ليصل إلى الكراهة أو إلى الاعتدال المنحرف لصالح من يرغب أن يصير رأيه صحيحا دون سند، على الرغم من أن كل طرف يبذل جهده لإثبات صحة ما يقول، فالى أى سند نركن حتى تظهر أمامنا الحقيقة المطلقة، لنقرأ قول الله تعالى فى سورة (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) آل عمران**). إن الوصول إلى العدل والنصفة لهو أمر شاق على من لا يتخذ المنهج السليم، إن الدعوة واضحة فى كتاب الله مهما اختلفت الفرق والأطراف، هى دعوة لكل الأطراف ان اقبلوا إلى كلمة ذات عدل وإنصاف وهذه دعوة إلى كل الأطراف. لكلمة السواء وهى لمصدر مستوية أى هلموا إلى كلمة لا يختلف فيها القول أو الكتب المنزلة أو حتى الرسل لأنها كلمة عادلة مستقيمة ليس فيها ميلا عن الحق.

إذن لم تعد المسألة على أرض الواقع هى لمجرد الشد أو الجذب بين فكر وآخر إنما يعزى إلى اتخاذ المرجعية التى توضح كل الأمور. إن التبريرات فى

فهم نص أو فهم الاجتهادات المضادة والقائمة على قناعة شخصية تتجاوز حد الاعتدال قد تصل بنا إلى التشدد، وان التشدد فى موقف يصل بنا إلى التطرف وتكون النتيجة الطبيعية القطيعة وهى السائدة حاليا وصلت إلى حد الكراهة، إذن عدم اللجوء إلى كلمة سواء والميل إلى فكر معين يتبعه سلوك متكرر يخرج عن حد الاعتدال ليظهر عملا باستخدام العنف المتشدد سواء فى الإرهاب النفسى أو المادى أو الفكرى.

إن الجمود الفكرى والتعصب هو جمود عقائدى لا يرتكن على كلمة سواء، فلك أن تتخيل الآن هل تقبل عبادة الأصنام؟ إن الجمود الفكرى العقائدى النابع على فلسفة ومناخ فئة والاعتقاد بالصدق فى الأفعال، يؤدى إلى ظهور على السطح إلى البلطجة، والتعصب حالة من الكراهية تتسم بالجمود وعدم المرونة.

وان التعصب المؤدى إلى الكراهية ما هو إلا انحراف عن معيار العقلانية للسلوك المثالى، ويظهر فى صور متعددة من رفض أو تعديل أو تعميم مفرط أو لمجرد التفكير فى إطار نمطى لقوالب فكرية جامدة. إن العنف فى التعامل بين البشر الذى يحمل بداخله الكراهية بين الناس، وهى ظاهرة يصعب تفسيرها ظاهريا ولكن بالتعمق نجد ان عدم الرجوع إلى مرجعية حقيقة هى التى تؤدى إلى الانحراف عن حد الاعتدال.

إن الخدعة الكبرى التى يمكن أن نراها أمام أعيننا هى محاولة الترطيب قولا لا يواجه الحقيقة، إنها مغالطة النفس فى أن تكذب لتصدق نفسك وهذه من الخدع الكبرى التى تؤدى إلى ثقافة الكراهية وان الرفض المتمثل فى انعدام القدرة على التأمل يعتبر من الظواهر المرضية فى المجتمع، وان الاندفاع الوجدانى المبالغ فيه والسلوك الزائد عن حد الاعتدال لهو من فرط السلوكيات، يتولد بداخلها الكراهية المطلقة ان أخطأ طرف مقابل طرف، ولا مجال لقبول الأعذار، وانمحت فيما بيننا لغة التسامح.

فمن يعلم بل يدرك مفهوم السماحة التى تطرد الكراهية بين الناس وتزرع فى القلوب السلاسة واليسر، إن آثار الكراهية المنبثقة من العنف والتطرف تؤدى إلى تدهور اقتصادى بالمجتمع كما نرى لأن الإرهاب والكراهة والتعصب

لا يعتمد على الإبداع العقلى بل على الانحراف الفكرى، فإن تدهور القدرة العقلية على الإبداع والعجز الفكرى يؤدى إلى المنحنى الرجعى أى إلى منحنى يمكن أن نطلق عليه منحنى أحلام الماضى، الذى يغلق معه إغلاق باب الإبداع والفكر، وإذا كان حرية الإبداع الموجودة لا تتواءم مع حد الاعتدال فتعتبر أيضا من الإرهاب الفكرى الذى ينخر فى المجتمع ليهبط بقيمة إلى القاع، وان الحرية الفكرية هى التى تنير ولا تؤذى أخلاقيات الأمم.

إن التسامح كسمة فى الإنسان لهو من باب الخلق الكريم فى التعامل فيما بيننا ولنا فى الحديث الشريف أتدرون على من حرمت النار؟ حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الهين، اللين، السهل، القريب)، فأى كرم بيننا يحرم النار على من تسامح وتصافح وعفى وغفر و لان جانبه الناس.

والتسامح أصل يدل على السلامة والسهولة، فى التعاملات والتسيير وعدم القهر، بين الأشخاص وان اختلفت عقائدهم أو دياناتهم ولنا فى كتاب الله فى سورة البقرة ١٠٩ **(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**.

إن حسن المعاشرة مع الآخرين مهما اختلفت عقائدهم هو منهج الإسلام الذى سار عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ودعت له النصوص الشرعية. إن لين الجانب وحسن المعاملة من الصدق والوفاء بالعهد وعدم الغدر لا يخلق مجتمعا متطرفا ولا فئات ضالة لا تعرف حقيقة الاعتدال، وان العقائد مهما اختلفت إلا أنه لا تفاضل بين العقائد وانظر إلى سورة البقرة آية ١٣٦ **(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)**.

إن المعاملات التى نراها الآن بين البشر لا تستند على مرجعية حقيقية، انه التطرف والإرهاب الفكرى، فكر العنف والقسوة، ليصل إلى حد الوصاية على الآخرين، وان اخطر ما فى الإرهاب الفكرى هو الرقص على العواطف سواء بالادعاء أو المغالاة، إن استباحة الأشياء دون أن لا نملك منها شيئا ما هى إلا

نـوع مـن السـرقة، فالإرهـاب نـوع مـن سـرقة مقاديـر الشـعوب أيًـا كانـت صـوره، وان حـد الكراهـة النابـع و المسـقى مـن ثـدى الإرهـاب والعنـف لهـو ضـلال فكـر وانحـراف احـل باطـلا.

وان العشـوائية الفكريـة التـى أصبحنـا نراهـا الآن لسـوف تدمرنـا حتـى تصـل بنـا إلى حافـة الهاويـة، لقـد وصلـت الكراهـة فيمـا بيننـا إلى عـدم الإحسـاس إلى الانتمـاء أو الـولاء إلى الأرض التـى نعيـش عليهـا، وفقدنـا إحسـاس الأقـدام حـين تطـأ أرض الوطـن وكأن الوطـن ليـس وطننـا، فصرنـا فاقـدى الإحسـاس، بـأرض ووطـن. ان فـيروس الكراهـة والكراهيـة المتفشـى فينـا شـوه هويـة الوطـن وجلـب لنـا الكثـير مـن الخسـائر، وعجزنـا جميعـا عـن قـول الحمـد لله الا مـن رحـم.

إن الضحيـة الكـبرى هـى الأجيـال القادمـة المسـطحة فكريـا وبقصـد، بإنشـاء فضـاء فكـرى فـارغ لـه حتـى يفـرغ هويتـه ويتبـع ذلـك الـولاء والانتمـاء، ويصبـح الوطـن طـاردا لأبنائـه، إن الحقـد المتـوارى بـين البشـر يظهـر جليـا بيننـا لان العـدل مفقـود، وسـيف الحـق ننتظـره فـى مولـود، فهـل أنـت علـى أرضـك موجـود؟

obeikandl.com

المقال الثالث عشر
الخبايا فى منظور الخُلق

هو الخوف، ما يدفعنا لأن نتوارى، خلف من ؟، وخلف ماذا؟ ماذا يعيبنا؟ حتى نتوارى، حتى نخبأ أمرا، إن ما نخفيه وما نبديه يعلمه الله، لقد ضاعت فينا ملامح كثيرة، ملامح أنسانيها شيطان البشر داخل نفسه، خوفا ممن؟ ولمن؟ ولماذا؟ وهل ما نخفيه لأنه خبايا العورة فى نفس البشر الذى يحتل بين نفسه صورة تختلف عما يبديها، فلسنا ملائكة ولا ندعى الكمال ولكن علينا أن نسعى إلى الخلق والالتصاق النفسى داخل أنفسنا لهو أمر جميل، إن الخبايا داخل أنفسنا تجعلنا نصل إلى مرحلة من الفصام النفسى والسلوكى العائد إلى ضعف العقيدة، وان جرجرة الألسن من صنع قرين البشر حين يهم ويوسوس، هل نتذكر قول الله تعالى **(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) – غافر**، إذا كانت الآية تتحدث عن إضمار النفس بما تخفيه الأعين عما يمر أمامنا، وتحدثنا بها النفس فما بالنا كيف يكون ما تضمره النفس بما تخفيه الصدور ليس فى عين ترى أو لا ترى إنما بلسان يضمر نوايا لا يعلمها إلا الله، إننا إذا نظرنا لقوله تعالى **((وإن تجهربالقول فإنه يعلم السروأخفى)) سورة طه**، آيه٧، نعلم أن اللسان ينطق والقلب لا ينطق بما فيه، وفى القلب أسرار كثيرة تخفى ما يبديه اللسان فى حواره، ولكن علم الله فوق كل شيء، ان القول فى السر والعلن مراقب، أمام الله ونحن البشر نخفيه، السؤال لما نخفيه، وما الدافع لذلك، ان الإجابة على السؤال، تشعرنا بخوف كبير من أنفسنا أمام الغير، وان كنا نخاف فلنمسك شفاهنا من اللفظ فيما نخبئه، حتى لا نثير شكا أو لبسا أمام الآخرين، وان الشك نفث من نفث الشيطان، يبعث بها رسله فى اذن المتحدثين، لشعل النار بين الأطراف ويسيء كل منهم للآخر، وتحدث الفتنه، فهل نتريث فى الفعل، هل نستطيع ضبط تصرفاتنا، هل نستطيع إحكام

ألسنتنا، و لننظر لهذه الآية الكريمة **(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) - التوبة)**، إن كثيرا منا له الحق فى أن يحتفظ لنفسه ما يخفيه، ولكن طريقة الإخفاء تتطلب أشياء كثيرة، فى ألا نجرح معها الكثير، وإن الخلق الكريم يتطلب مراعاة التفوه بالحرف، وان معيب الحرف من معيب الخلق، وان الريبة تنهش فى صدور الصدق، فالصدق غشاء رقيق يحرقه الكلمات الطائشة، وإن كانت غير معلنة فى التصرف أو القول، وإن أدب الخلق من جمال الحرف فى اللسان، إن تعرى الحقائق قد تخجلنا، وان من يتعمق فى الآية **(وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) – غافر)** يعلم أن هذه الآية إن لم تكن موجودة وكان الإنسان لديه القدرة على قراءة الصدور، لصارت المشاحنات بين البشر والاقتتال، ولذلك أخفيت الأسرار بداخلنا عن بعضنا وهذا رحمة من الله علينا، إننا لا نتحمل ما يضمر به الآخرون تجاهنا صدقا كان أو كذبا، إنها الرحمة من الله، فهل لنا أن نرحم الآخرين فى أفعالنا؟!

خبأ من القول ما شئت فى ليل غسق
فى الصدر مخزون محاسب ما يحترق
ان السر فى الصدر على قِدْرٍ يَسْتلق
فعند الله السرائر وكتاب أعمالنا بِالعُنق
أخفيتَ فى اللفظ ما تبديه حرجا يَخْتَنِق
فإن شفاف القلب للصادقين تبيانُ سَبَق
إن دق القلب فى غصة فشغافه تَحْتَرَق
فاعلم بأن دليل الكذب مخبأ بلفظ سَبَق
وما نخفيه فى صدورنا يعلمه من خَلَق
والتقوى منزلةُ الكرامِ أنخشى بشرا خُلِق
الخوف من عورة بلسان كذب نَخْتَلق
وخُلِق الكريم فى عِفَةٍ من لسانٍ خَلُق

فافعل ما شئت والهم بفعل منه تَخْتَلِق

نسيت عرضا نُعرض على رب من خَلَق

الدنيا عور وستر العورة لا بكذب نختلق

الستر فى أدب لفظ نحن نصنعه من خُلُق

اللهم إن لك على حقوقا كثيرة فيما بينى وبينك، وحقوقا كثيرة فيما بينى وبين خلقك إلهى بحق اسمك العظيم الذى إذا دعيت به أجبت وإذا سألت به أعطيت، ما كان بينى وبينك فاغفره لى، وما كان لخلقك فتحمله عنى يا أكرم الأكرمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

obeikandl.com